مجلة دراسات تاريخية

EISSNISSN: 9741-2352 :6723-2600

و اقع الكنيسة الإفريقية من خلال كتابات المفكرين المسيحيين ارنوبيوس ولكتانسيوس .

The reality of the African church through the writings of Christian thinkers arnobius and Lactantius .

نجوى راشي

جامعة محمد لمين دباغين -سطيف 2-

nadjouarachi@gmail.com

الإرسال:23/08/26 القبول :23/12/29 النشر:24/01/05 المرسل: نجوى راشي

الملخص:

استطاعت الكنيسة الإفريقية أن تمنح للساحة الأدبية عدّة شخصيات دينية متشّبعة بالثقافة اللاتينية ، عملت جاهد ة للدفاع عن هويتها الإفريقية ، كما أسهمت في تطوير الثقافة اللاتينية وإثراء الفكر المسيحي في ظل رغبتهم الجامحة والمتزايدة في ترك بصمتهم في مجال الآداب اللاتينية ، خاصة في ظل فترة الاضطهادات الدينية التي عرفتها الديانة المسيحية وما أعقبتها من مواجهات عسكرية من قبل معتنقي المسيحية ، نتيجة هذا الوضع أن برز مفكرين وأدباء مسيحيين، حملوا شعار الدفاع عن المسيحية ومحاربة أفكار الوثنية من خلال المناظرات والمراسلات الدينية، ومن بين ابرز المجادلين الذين برزوا في القرن الثالث ، نجد كل من شخصيتي أرنوبيوس وتلميذه لكتانتيوس ، من خلال هذه الدراسة سوف نحاول تسليط الضوء على واقع الكنيسة الإفريقية من خلال مؤلفات هذين الشخصيتين الدينيتين ، مستعرضين الجانب الأدبي لهما ، من خلال تقديم مقاربة تاريخية حول أهم مؤلفاتهما ، ومعرفة مدى ما حملته هذه الأعمال من تصوير لوقائع وأحداث القرنين الثالث والرابع ميلادي ؟.

الكلمات الدالة : ارنوبيوس ، لكتانتيوس ، ضد الوثنيين ، النظم الإلهية ،ـموت المضطهدين.

Abstract

The African church was able to grant the literary arena several religious figures imbued with Latin culture, worked hard to defend its African identity, and also contributed to the development of Latin culture and the enrichment of Christian thought in light of their unbridled and increasing desire to leave their mark in the field of Latin literature, especially in light of the period of religious persecutions that the Christian religion among the most prominent Christian polemicists who emerged in the third century were A.D. We find both the personages of arnobius and his pupil of Lactantius , Through this study, we will try to shed light on the reality of the African church through the writings of these two religious figures, reviewing the literary side of them, by presenting a historical approach to the most important works and their writings, and to find out the extent to which , these works depict the facts and events of the third and fourth centuries AD ?.

Key words : *Arnobius , Lactantius , Adversus nationes , Divinae institutiones , De mortibus persecutorum .*

مقدمة:

شرب سكان المقاطعة الإفريقية من ينابيع الحضارة الرومانية الأدب واللغة اللاتينية ، فترددوا على اكبر مدارس ذلك العهد كأثينا ، الإسكندرية ، قرطاجة ، مما انعكس هذا الأمر في تفوقهم في العديد من المجالات الأدبية أبرزها : فن الخطابة و المراسلات وإنتاجهم للعديد من المؤلفات الأدبية مثل :ارنوبيوس وتلميذه لكتانتيوس الذّين تركا رصيدا أدبيا مهما ، يعكس الوضع الديني الذي عاشته الكنيسة الإفريقية في ظل اضطهادات الأباطرة الرومان ، ويعطينا صورة واضحة على ما وصلت إليه المقاطعات الإفريقية آنذاك .

من هذا المنطلق تأتي فكرة هذه الدراسة التي سنحاول تسليط الضوء في هذا الموضوع بقراءته من زاوية جديدة تاريخية تنظر في فئة المجادلين المسيحيين الذين برزوا في بداية القرن الثالث ميلادي ، ومدّى مساهمتهم في إنعاش الحياة الأدبية في ظل الاحتلال الروماني، من خلال هذا المقال سأحاول طرح فكرة جديدة لعّلها تسهم في تعزيز قراءات وكتابات حديثة فيما يخص الإنتاج الأدبي المسيحي لأهم الشخصيات المغاربية التي ذكرت شذّرات من أعمالهم في ثنايا بعض المصادر الكلاسيكية على حد سواء، وفي مقدمتهم نجد : شخصيتي ارنوبيوس وتلميذه لكتانتيوس ، من خلال التطرق إلى هؤلاء المجادلين المسيحيين وتوضيح الدور التاريخي الذي قاما به ، خاصة من ناحية رصد أهم المعلومات السياسية و الدينية التي تناولتها مختلف مؤلفاتهم ، والتي أصبحت فيما بعد مصدرا مهما للكثير من القرّاء والمهتمين بدراسة تاريخ الكنيسة الإفريقية ، معتمدين في سرد هذه الأحداث على المنهج التاريخي التحليلي وأدواته من تحليل ونقد ، وفي هذا الصدد نطرح الإشكالية التالية : كيف تميز الوضع الديني في الكنيسة الإفريقية ؟ ، إلى أي مدّى ساهم كل من أرنوبيوس ولكتانتيوس في تطوير الأدب المسيحي في ظل الاحتلال الروماني ؟ ، وفيما تكمن أهم مؤلفاتهم الأدبية ؟ .

1. و اقع الكنيسة الإفريقية في ظل المراسيم القمعية الرومانية :

ابتداء من القرن الثاني ميلادي عرفت الديانة المسيحية في شمال إفريقيا انتشارا واسعا ، حيث امتدت من المدن الساحلية إلى المدن الداخلية و البلديات المجاورة حتى وصلت إلى القرى والأرياف ، و أمام هذا الوضع الديني دعت الضرورة إلى تحديد مناطق نشاط كل أسقف عن طريق تشكيل الأسقفيات التي تم إنشاؤها وفق مرسوم تقسيم المناطق بمقاطعات كنسية مع حدود جد واضحة لكل منها، ففي هذا الصدد يقول ترتليانوس : " أنها شملت جميع شرائح المجتمع المختلفة من أغنياء ونبلاء وتجار وحرفيين ومزارعين ولاسيّما الصغار ، منهم والكبار وكذا عبيد المدن والأرياف ... "[1] .

إذن تعتبر هذه الفترة الممتدة من نهاية القرن 2 م إلى القرن 4 م فترة حاسمة من تاريخ الكنيسة في بلاد المغرب القديم ، بين فترات السلم وفترات الاضطهاد والقمع الديني من قبل السلطة الرومانية ،حيث شهدت المسيحية في البداية ازدياد عدد معتنقيها وبناء العديد من الكنائس ، وجمع الأساقفة في مجامع دينية كثيرة

لتعرف في منتصف القرن الثالث ميلادي نظاما كنسيا كاملا يقوم بأدوار عديدة خاصة في الفترات التي تنعم بها الكنيسة بالسلام والاستقرار ، غير أن هذا التطور الكنسي أدى إلى تراجع في الديانة الرسمية (عبادة الإمبراطور) ، مما نتج عن ذلك احتدام الصراع بين الكنيسة والسلطة الرسمية ، وما أعقبتها من اضطهادات دينية انطلاقا من عهد كومودوس سنة 197/196م ضمن ما يعرف تاريخيا بحادثة سكيلي (Scilli) بقرطاج[1]، واستمر الوضع أكثر حدّة وتدهورا مع سنّ مجموعة من المناشير التعسفية التي وضعت في عهد الأباطرة الرومان انطلاقا من الإمبراطور : سبتيموس سفروس(193 م – 211 م) ، ديكيوس (249 – 251 م) ، فاليريانوس (257 – 259 م) ، دقلديانوس (284 – 305 م) ، هذا الأخير الذي أصدر مرسوما سنة 303 م يمنع بموجبه اعتناق المسيحية و يفرض عبادة الإمبراطور على الجنود العسكريين ، و يأمر بهدم الكنائس ومنع الاجتماعات الدينية حتى سمي عهده ب (عصر الشهداء)[2].

في ظل هذا الصراع السياسي الديني أن برز على الساحة الإفريقية بعض المجادلين الذين لعبوا دورا فعّالا في المقاومة الدينية ضد السلطة الرومانية ، أين سخّروا أقلامهم للكتابة والمرافعات الدينية ، مما أنتج أدبا مسيحيا لاتينيا احتل مكانة مرموقة بين جميع الآداب اللاتينية ، بسبب انتهاج هذا الدين الجديد البعد التوحيدي – الدعوة إلى الإيمان بالإله الواحد و العدالة الاجتماعية والتآزر الإنساني والتآخي - .

ذاع صيت المسيحية الإفريقية أكثر خلال القرنين الثالث والرابع ميلادي على يد نخبة من المثقفين الأفارقة المرومنّين بالثقافة اللاتينية ، استطاعوا أن ينهجوا نهجا خاصا في الأدب المسيحي اللاتيني ، ولقد تجّلى هذا الأمر من خلال مجموع المواضيع والأعمال المدروسة التي عبرت عن مدى أفكارهم المتعلقة ببعض المستجدات التي كانت تعيشها المقاطعة الإفريقية وإبراز مواقفهم السياسية والدينية من بعض القضايا التي كانت تعيشها الإمبراطورية الرومانية .

رغم تعدد الشخصيات الفكرية الإفريقية واختلاف أسلوبها الأدبي ومنهجها البحثي ، إلا أنها تبقى محل دراسات غير معمقة ، وتستدعي منا كباحثين ضرورة تسليط الضوء على بعض الجوانب الغامضة في مسيراتهم ، خصوصا تلك المتعلقة بأصولهم وهويتهم و الهدف من وراء كتاباتهم ، وهو ما نلمحه مع المفكر الديني ارنوبيوس وتلميذه لكتانتيوس الذين لعبا دورا كبيرا في الدفاع عن المسيحية الإفريقية التي عانت ويلات الاضطهاد والتعسف من قبل السلطة الرومانية خلال القرن الثالث والرابع ميلادي ، وفي هذا الصدد سوف نحاول تسليط الضوء على :

2.شخصية أرنوبيوس "Arnobius " والكتابة التاريخية

بعد اختفاء أهم المفكرين الإفريقيين المساهمين في إنعاش الحياة الأدبية اللاتينية أمثال كل من فرنتون السرتي" Marcus Cornelius Fronton "[4] وابوليوس المداوروشي" Locius Apuleius "[5]، خيّم سكوت رهيب على الواقع الأدبي الإفريقي استمر تقريبا حتى نهاية القرن الثاني ميلادي ، هذه الفترة التي تميزت بانتشار المسيحية في المقاطعات الإفريقية ، وما نتج عن ذلك من احتدام الصراع بين الكنيسة والسلطة الرومانية .

في خضم هذه الأوضاع أن برز العديد من المجادلين الأفارقة الذين لعبوا دورا فعالا في الدفاع عن مبادئ المسيحية ، وشرحها للمجتمع الوثني عن طريق خطبهم ومؤلفاتهم ، مكونين بذلك الأدب المسيحي اللاتيني ، الذي هيمّن عليه المفكرين الأفارقة ، وفي هذا الصدد نجد ابرز الشخصيات الدينية مثل : ترتوليانوس " Ouitus Septimius Florens Tertullianus"[6] وكبريانوس " Cecilianus Cyprian "[7]....الخ ، وأمام هذه الظروف المتأزمة دينيا في قرطاج ، لم تتوقف الساحة الإفريقية عن إنجاب شخصيات أدبية تركت بصمتها في الأدب المسيحي مع بدايات القرن الثالث ميلادي ، ساهمت في صقل الفكر اللاتيني الإفريقي على وجه الخصوص ، ومن هنا سوف نحاول أن نسلط الضوء على شخصية ارنوبيوس او ارنوب(Arnobe) ؟ فمن هو هذا المؤلف ؟ و فيما تكمن كتاباته؟.

1.2مولده ونشأته :

ولد في إحدى القرى النوميدية وبالتحديد في مدينة سيكا فنيريا " Sicca Veneria"[8]-الكاف حاليا- في حوالي 250م [9] ، أشار القديس جيروم أنه ظلّ وثنيا في شبابه حتى بلغ سن الستّين سنة من عمره وأعلن اعتناقه للديانة المسيحية في حوالي سنة 296/295م في عهد الإمبراطور دقلديانوس (284-305م) بسبب أحلامه أو تفكيره المنطقي ويقظة ضميره[10] ، ففي هذا الصدد يقول : "كنت اعبد ، ويحي كم كنت أعمى في عبادتي ! لقد كنت اعبد التماثيل المعدنية التي يصنعها الحداد في دكانه ، وهي آلهة مطروقة على السندانة بضربات من مطرقته ، كنت اعبد أنياب الفيلة ، والرسوم ، والشرائط المربوطة إلى الأشجار القديمة ، فإذا ما رأيت حجرا مصقولا وممسوحا بزيت الزيتون ، كنت أتوقع أن أجد فيه قوة إلهية ، فاركع أمامه واستنجد به وأتضرع إليه صارخا ، كنت اطلب المعروف والحسنة من حجر أصم لا يحس ولا يتفاعل "[11].

الجدير بالذكر أن مسألة تنصره سنة 296/295م قد أثارت اندهاش مسيحي مدينته ، واعتبروا قراره المفاجئ بالدخول إلى الديانة المسيحية أمر لا يصدق ، واعتقدوا أن هذا الأمر مجرد مناورة مخادعة يهدف من خلالها إلى التسلل إلى داخل المجموعة المسيحية بغية تخريبها ، ولهذا رفض ناظر الكنيسة أن يعمدّه باسم المسيح بسبب مناوأته له في السابق ، ولكن بمجرد أن تمسح اثبت العكس ، وأصبح من أكبر المدافعين عن المسيحية[12] ، واستطاع أن يكون من ابرز خطباء البلاغيين في البروقنصلية ، رفقة أشهر تلاميذته الذين سوف تكون لهم البصمة الدينية في إفريقيا هو الخطيب لكتانتيوس[12].

تبقى المعلومات جد قليلة حول هذا الخطيب الإفريقي ، ولكننا سوف نحاول الاعتماد على الشذرات المتناثرة بين ثنايا المصادر والمراجع ولعّل أبرزها ما تناوله القديس جيروم (Jérôme de Stridon) الذي يعتبر المصدر الرئيسي حول هذه الشخصية ، وإن كانت معلوماته تبقى نسبية ومحدودة ، فمن من المهم حقا معرفة كيف وبواسطة من جمع معلوماته عن شخصية أرنوبيوس ؟ ، هل من الممكن أن جيروم تحصل على هذه المعلومات بفضل التقاليد والروايات الشفوية أو راجع إلى حصوله على عمل أرنوبيوس في حد ذاته ؟[13] .

زيادة على ذلك تواجد بعض النصوص والشهادات المبعثرة التي ذكرت في أهم مؤلف ديني ، والمتمثل أساسا في كتاب : ضد الوثنيين (Adversus nationes) الذي أشار فيه إلى الكثير من الأحداث التي عرفتها الكنيسة الإفريقية في ظل الاضطهادات الدينية الممارسة في حقهم سواء من قبل السلطة الرومانية أو الوثنيين الذين سخروا كل إمكانياتهم للحد من انتشار هذه الديانة وقمع معتنقيها[14] .

حاول القديس جيروم أن يقدم أرنوبيوس كخطيب مشهور ، تولى مهمة تعليم شباب سيكا فنيريا " Sicca Veneria" -الكاف حاليا- فن الخطابة والبلاغة اللاتينية ، ونشر أسس ومبادئ المسيحية في مقاطعة البروقنصلية الإفريقية بأسلوب مرتبك حتى أنه كتب في رسالته رقم 62الى ترانكوليونوس (Tranquilinus) : " أنه يجب علينا أن نأخذ ما هو جيد ونترك جانبا ما هو سيء ..."[15] .

على الرغم من أن جيروم يخبرنا بشكل مباشر أو غير مباشر ببعض المعلومات حول أرنوبيوس ، إلا أن العديد من جوانب حياته لا تزال غير معروفة. وبالتالي لا نعرف تاريخ ولادة ووفاة أرنوبيوس بالتحديد ؟، ولكن تبقى مجرد استنتاجات غير موثوقة ، وتتطلب منا كباحثين التعامل معها بحذر وبعناية ؟[16].

2.2تكوينه الأدبي :

كان في شبابه معلما مشهورا في علم البلاغة وفن الخطابة والشعر في مدينته سيكا " Sicca Veneria"[17] ، ذاع صيته أيضا في المناظرات العقائدية وعلم الكلام والجدل الديني ، محاضراته مفعمّة بالحيوية ، الحجج الدفاعية نظرا لاستخدامه الإيضاحات والصور البيانية المستقاة من معرفته الواسعة بالمسرحيات اليونانية واللاتينية الشهيرة ، بالإضافة إلى سائر الكتب الأدبية المعروفة الأخرى في عصره ، ولهذا تزخر كتاباته بالإشارة إلى الريف الذي لطالما عرفه في صباه من خيرات وفيرة مثل: خصوبة السهول الساحلية التي تخص القبائل الموريـة ، النوميدية ، فضلا عن ذكره لقطعان الأغنام ، الزيتون ، الكروم ...الخ، كما تطرق في الوقت ذاته إلى الكوارث والفواجع مثل: الجفاف ، القحط ، الجراد ...الخ .

3.2 أهم المو اقف المنشودة من قبل الخطيب أرنوبيوس_ :

تبنى ارنوبيوس عدة مواقف دينية ميزّته عن بقية الخطباء الإفريقيين المسيحيين الذين ظهروا في القرن الثالث ميلادي لدرجة أن أبناء قومه افتخروا بابن بلدتهم المثقف واللامع، ولعّل أبرزها يكمن في :

-عرف بولائه العميق وبغيرته للمدينة الإفريقية ، حيث تكلم كثيرا عن موطنه إفريقيا ،مفتخرا بهذا الانتماء ، إذ أشاد بخيرات نوميديا وموريطانيا الزراعية ، كما مجّد قرطاجة وحنبعل الذي أثار الرعب في أوساط روما أثناء الحروب البونية[18] ، وقليلا ما كان يحبّذ السلطة الرومانية ، هذه الأخيرة التي قال بشأنها أنها جاءت للقضاء على سلالة البشر، وأنها سبب المحن التي عرفها المجتمع الإفريقي[19] ،ساخرا من الآلهة الوثنية القديمة بما فيها الآلهة الرومانية التي انتشرت في إفريقيا الشمالية من منطلق معرفته الشخصية بها ، ووصفها بالردّاءة والتدّني في المنزلة الكهنوتية[20] .

-اشتهر بمناظراته الدينية ،ووقوفه الدائم الموقف المعارض من جماعة المسيحيين في مسقط رأسه ، حيث اشترك كناظر من سيكا فنيريا " Sicca Veneria"في مؤتمر كبريانوس المنعقد في عام 256م ، أين وجدوا فيه مدرس البلاغة المتضلّع من المادة ، والخطيب الوثني الواسع الاطلاع ، خصما مرعبا ، سواء أحصل ذلك في القضايا الشعبية العامة أو الخاصة بسبب أنه يحظى بدرجة عالية من الثقافة عكس معظم المسيحيين الذين كانوا اقل منه ثقافة فضلا عن ولائهم العنيد لمعتقداتهم، وبصمودهم الرائع في زمن مرسوم الشهداء الذي أصدره دقلديانوس سنة 303م[21].

-اشتهر أرنوبيوس بحججه الدفاعية ، خاصة فيما يتعلق بمسالة مرافعاته عن القديس ترتوليانوس ، ويدحض كل التهم والروايات الزائفة التي لحقت بالمسيحية بسبب أن المصائب والكوارث التي حلت بالعالم كلها حدثت منذ ظهور هذه الديانة على سطح الأرض[22].

-اهتمام ارنوبيوس بشتى المسائل الأدبية والأخلاقية ، ما دفعه إلى البحث في الأمور الفلسفية والدينية، مهتما بمراعاة أدق التفاصيل بهدف شوقه الداخلي إلى الإيمان على أمل أن يصل إلى الجواب الوافي المرغوب به في أي منها ، رغبة منه في أن يكتشف الحق لكي يبدأ على هذا الأساس يتعبد لأية آلهة أو أرواح قد يعلنها له هذا الحق ، وربما يقصد هنا أصحاب المذهب الغنوصي[23] .

-ازدرائه من عبادة الآلهة الرومانية وبخرافات الأديان السرية فضلا عن عبادة الأصنام التي يراها أنها من صنع البشر ، حيث يذكر أن موطنه سيكا فنيريا " Sicca Veneria" كانت مركز العبادة القذرة لآلهة الشهوة ، ففي معابدها كانت العذارى يضحين بعفتهن ، من هنا كان ارنوبيوس صارما للغاية في إدانة نجاسات الآلهة الوثنية ، والتي يتصدرها جوبتير نفسه في شتى أشكال الرذيلة[24].

- نظرته إلى السحر نظرة مختلفة ، لم يكن يشك أبدا في أن قوى حقيقية تكمن وراء أعمال السحر الأسود التي طالما مارسها أسلافه وأجداده ، وعلى مدى أجيال طويلة ، وبعد اهتدائه إلى الدين المسيحي ، راح يتحدى المشعوذين والسحرة الوثنيين بأن ينجزوا الأعمال العجائبية التي صنعها الرب مع وثوقه التام بأنهم عاجزون عن فعل ذلك .

-إدراكه أن الوثنية خالية من المبادئ الأخلاقية والأدبية ، وأنها تدين بمذهب حيوية المادة ، غير أنه أعجب بعض الشيء في المستويات الأخلاقية عند الفلاسفة ، لكنه لم يجد فيها أيه علامات للقوة الروحية ، وعلى هذا الأساس طرح سؤاله الجوهري : هل من الممكن توحيدهما معا حتى تساهم الحقائق الموجودة في كل منهما في بروز الحق الأكمل ؟[25] .

-يعتبر المسيح العلة الأولى لكل الأشياء ، ويؤمن بأن المسيح هو الله وكان لابد من تجسده من اجل فداء البشرية ، وأن الله يتسامى عن الاتصال بمخلوقاته ، وهذا فكر الفلسفة الأبيقورية ، وأنه لا يشعر ولا يهتم بما يحدث في

العالم ، وأن الله لا يغضب إذ أن هذا لا يتفق على طبيعته الإلهية ، وينكر خلق الله النفس كونها ضعيفة ، تميل إلى الشر[26] .

4.2 أعماله الأدبية :

ألف أرنوبيوس " Arnobius " العديد من المؤلفات الدينية المسيحية ، ولهذا صنف ضمن أهم من كتب عن تاريخ الكنيسة الإفريقية ، لأنه كرّس حياته لخدمة المسيحية والتبشير بها ، فترك عمله الحقيقي ليسخر كل مجهوداته في الدفاع عن الدين الجديد ، ومحاربة الوثنية،ولهذا اعتبره جمهور المسيحيين من آباء الكنيسة ،ركزّ في كتاباته على خلود الروح وصبر المسيحيين على أذى الآخرين وقوتهم النابعة من إدراكهم بأنهم على حق وبأن دينهم هو الصحيح ، وفي هذا الصدد نجد أبرز ما كتبه :

-مؤلف " ضد الوثنيين "Adversus nationes" / "contre les païens" [27] :

كتب أرنوبيوس هذا المؤلف في حدود سنة 300م ، تمّ نقله بواسطة مخطوطة كارولينجيان(Carolingien) في القرن الحادي عشر ، اظهر فيه عن ثقافة واسعة ، واستطاع أن يستلهم معلوماته من كتابات سابقيه وتوظيفها في محاربته الفكر الوثني مثل : الخطيب شيشرو ن (Cicéron) ، فارون(Varron) ، فيرجيل (Virgile) ، أوفيد (.Ovide) ، بالإضافة إلى المفكرين المسيحيين الذين اشتهروا بأعمالهم الدفاعية و مرافعاتهم ضد الوثنية أبرزهم نجد : كليمنت الإسكندري (Clément d'Alexandrie) ، القديس ترتوليانوس (Tertullien) ،مينوسيوس فيليكس (**Mnucius felix**) ،كبريانوس (Cyprien)[28].

يتكون هذا المؤلف من سبعة أجزاء ، مكتوبة بطريقة نثرية شعرية ، دافع من خلاله عن المسيحية والوضع الديني الذي ألت إليه هذه الديانة بعد سلسلة من الاضطهادات القمعية الممارسة في حقهم ، متحاملا في نفس الوقت على الوثنية وعبادة الأصنام الذين حمّلوا المسيحيين المسؤولية في كل الكوارث التي لحقت بالإمبراطورية الرومانية[29] ، وفي هذا الشأن يقول القديس ترتوليانوس" إذا ما غمر نهر التّيبر المدينة ، إذا لم يغمر النيل الحقول ، وإذا بقيت السماء ساكنة ، وإذا اهتزت الأرض ، وإذا حدثت مجاعة أو طاعون ، نسمع في الحال صراخ : المسيحيون للأسود ...."[30] ، كما أبرز عظمة الله وأن عبادته هي السبيل الوحيد للفوز وضمان حسن الآخرة والنجاة الآمنة ، والإيمان به قولا وفعلا وسلوكا ، كما بين مدّى تفاهة الآلهة الوثنية ، وقد امتازت نظرته للمجتمع بالتشاؤم ، إذ قال في الإنسان : "انه مخلوق بائس وسيئ ، يتحسر ويكره وضعيته ، ويشتكي ، يقضي وقته ويبكي ،ويكذب ويضرب وينشر الخراب "[31].

مما تجدر الإشارة إليه أن ارنوبيوس في هذا الكتاب لم يحدد خصومه بذكر أسمائهم أو تحديد وظائفهم وهوياتهم على الرغم من انه من خلال كلامه يتهم أشخاص معينين ومعروفين بالنسبة له ولغيره في وقته آنذاك ، أنهم وثنيين يحمّلون المسيحية مسؤولية الأوضاع الراهنة التي يعيشونها ، ويقذفونها بمختلف النعوت ، ويشهرون بالمسيحية على أنهم غير مرغوب فيهم ويقذفونهم بأسماء غير لائقة ، وبالنسبة لارنوبيوس أن الحقد على المسيح غير مبرر وعلى أتباعه المضطهدين بشتى أنواع الاضطهاد[32].

الجدير بالذكر أن ارنوبيوس يدافع في الكتاب الأول عن المسيحية[33]،أكثر من تركيزه على نظرياته عن خلود الروح ، أين اهتم بتبرئة المسيحيين الذين اعتبروا سببا لكل الكوارث التي تحدث في العالم من الأمراض ، المجاعات ، الحروب ...الخ ، وذلك لعدم تضحيتهم للآلهة الوثنية ، فيرد ارنوبيوس على هذا الافتراء ويقول أن هذه الكوارث موجودة من قبل أن تأتي المسيحية ، وفيه صلاة رائعة يطلب فيها الرب أن يصفح عن مضطهدي المسيحيين ، ويثبت فيه أن ألوهية السيد المسيح وعمله في فداء البشرية ، وأنه الأب ورب كل الأشياء ن وإنه المعلم الفيلسوف الأسمى لكل من الطبيعة والعقيدة ، وينهيه بالفقرتين 64و65 عن الاضطهاد الديني[34] .

بينما يركز في الكتاب الثاني على انتقاد الوثنية بذكر نقائص وسخف ألهتهم ، ولكن أكثر ما يحز في نفسه ويؤلمه هو أن هؤلاء الذين ينتقدهم ويتصدى لهم يؤثرون بآرائهم في بقية الوثنيين المحيطين بهم ، بالإضافة إلى تطرقه إلى فكرة خلود الروح التي زرعها المسيح في أتباعه ، والتي لعلها تكون السبب في حقد المظطهدين على المسيحيين وفي متابعتهم[35] ، فضلا عن تطرقه إلى تاريخ روما منذ عام 1050سنة [36] .

في حين تشابهت بعض المعلومات التي وردت في الكتاب الثالث مع المعلومات التي ذكرت في الكتاب الأول ، حيث يشير إلى بمختلف الآلهة وأصولهم وطبيعتهم ليثبت لهم أنهم ليسوا بغير متدينين ، ويعتقد أن دفاع ارنوبيوس هو هجوم في حدّ ذاته ، إذ يبيّن أن الوثنيين غير رحيمين وبأنهم هم المتحرشين والمتسببين بسوء الوضعية المعاشة ،

و من جهة أخرى يركز في الكتاب الرابع والخامس على ولادة الآلهة ويستهزئ بهم مثيرا سخطهم ومستنكرا لوجودهم والأساطير التي تحكي قصص غراميات جوبتير (Jupiter) ، ويتحدث في الكتاب الخامس عن الأساطير ، ويفصل ما ورد فيها وينتقدها من خلال بعض السلوكيات التي لها علاقة بالوثنية مثل أساطير نوما وأتيس ، أما الكتاب السادس والسابع فيهاجم كل ما يتعلق بالمعابد الوثنية وتماثيل الآلهة والتضحية بالحيوانات أو تقديم القرابين والبخور ...الخ ، حيث يشدّد لهجة الانتقاد للمعتقد الوثني محاولا في نفس الوقت وضع الخاتمة للمقارنة بين الوثنية والمسيحية[37].

يبقى هذا المؤلف على المستوى الأدبي ، عمل جدّ صعب ومعّقد ، غير أنه يتميز بثراء لغوي ممتاز ، خاصة من ناحية قوة الخيال و سخريته اللاّذعة من المجتمع الوثني الذي يتعبد الآلهة المزيفة ، هذا الأمر أن جعل الكثير من المفكرين الغربيين يستهلمون من أفكاره ومعتقداته الدينية مثل : مونتاني (Montaigne) وبوسويه (Bossuet) ولافونتين(La Fontaine)[38].

3 . التأليف الأدبي للمفكر الديني لكتانتيوس " Lactantius "

1.3مولده ونشأته :

اسمه الكامل لوكيوس كاسيليوس فيرميانوس لكتانتيوس (Lucius Caecilius Firmianus Lactantius)، المعروف أيضا باسم لاكتانس(Lactance)[39] ، ولد في سنة 250م ، في حين اختلفت المصادر التاريخية حول تحديد مسقط رأسه بالتحديد ، هل كما ذكر من طرف البعض على انه ولد في مدينة بوبثينسيس (Popthensis)

المعروفة اليوم بمنطقة هنشير قصبة ببلدية أولاد مومن –سوق أهراس حاليا- ، أم أن مسقط رأسه الحقيقي يعود إلى مدينة سيرتا (قسنطينة حاليا) [40]،تتلمذ على يد ارنوبيوس (Arnobius) مما جعله هذا الأمر يوجه شغفه إلى دراسة كل ما له علاقة بالنحو والبلاغة حتى أصبح من أشهر خطباء وفلاسفة إفريقيا[41].

استدعاه الإمبراطور الروماني دقلديانوس سنة 248م إلى نيقوميديا في بيثينيا (العاصمة الجديدة للشرق) [42]، مرفوقا بفلافيوس عالم النحويات ، ليصير معلما للبلاغة اللاتينية ، لكنه لم يوفق هناك باعتبار أن مدينة نيقوميديا ذات ثقافة إغريقية وافتقاره للتلاميذ المهتمين بدراسة الثقافة اللاتينية ، فانصرف للكتابة والتدوين ، لكنه ظلّ أستاذا بهذه المدينة حتى انتشر الاضطهاد المسيحي سنة 303م في العالم المسيحي ،[43] .

مما تجدر الإشارة إليه أن قضية اعتناقه للمسيحية ، هل كانت قبل اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس (284-305م) أم بعده ؟ تبقى غير مؤكدة ومجرد روايات تاريخية فقط ، غير أنه بمجرد ما اعتنق المسيحية ، ترك منصبه سنة 303م في مدينة بيثينيا ، وقرر الرحيل منها فيما بين 306/305م وقد واجه أثناء هذه الفترة عدة مشاكل أجبرته على الاستقالة من عمله كخطيب والتفرغ للتأليف ، حيث بدأ يكتب ليرد على نصوص مجادلة معادية للمسيحية[44] ، والاختباء في نفس الوقت عن الأنظار إلى أن دعاه الإمبراطور قسنطنطين " Constantinus" إلى ترافس (Treves) ببلاد الغال (Gaul) في حوالي 317م ليتسلّم كرسي البلاغة اللاتينية ويعلّم ابنه الأكبر كريسبوس " Crispus" بسبب علاقته الوطيدة معه ، ويظهر هذا الأمر من خلال رسائل الإمبراطور قسطنطين ومدى تأثره بأفكار لاكتانتيوس ولغته [45] ، غير أنه توفي سنة 325م[46] .

2.3 انجازاته الأدبية :

أتقن لكتانتيوس قراءة اللغة الإغريقية واللاتينية ، ألّف كتبا متنوعة قبل وبعد دخوله للمسيحية ، عايش أبشع اضطهادات السلطة الوثنية ضد المسيحيين ، لهذا سخّر قلمه للدفاع عن المسيحية التي عانت من ويلات الاضطهاد الديني خاصة في القرنين الثالث والرابع ميلادي من خلال الكتابة والتدوين ، وبالرغم ما كتبه قبل التنصر قد ضاع أو بسبب إتلافها من قبل بعض المتعصبين للدين المسيحي[47]، لكننا جد محظوظين كباحثين في التاريخ القديم عن اطلاعنا في كل ما يخص الفترة المسيحية الإفريقية من خلال ما عثر على البعض من هذه الكتابات الدينية ، التي تتمحور معظمها حول العنّاية الربّانية لشريحة المتنصرين .

مما تجدر الإشارة إليه أن المعلومات حول هذه الشخصية جد شحيحة ونادرة ، معظمها أخذت من مؤلفاته أو من مؤلفات القديس جيروم ،كتب بأسلوب جديد ، مزج فيه بين الأدب والفلسفة ، أسلوب أطلق عليه الباحث محفوظ قداش "درجات الحقيقة" ، اهتم بالكتابة حول موضوع عصره ، مرافعا في نفس الوقت للحتمية التاريخية والعدالة الإلهية [48] ، ونتيجة معرفته الجيّدة للغة اللاتينية فإنه استخدم على نطاق واسع مؤلفات فلاسفتهم وشعرائهم ، مثل : أوفيد (Ovide) وسينيكا (Cenica) ، فرجيل (Vergile) والخطيب شيشرون (Chichrone) ، كما دعا إلى إعادة قراءة المؤلفين الوثنيين من منظور جديد ، لأن الوثنية وفقا لأفكاره هي تحريف للفلسفة التي هي من اختراع العقل البشري ، وسيكون استبدالها بإعادة معرفة الله من الجميع[49] .

استطاع لاكتانتيوس تقديم الديانة المسيحية بطريقة بليغة بارعة جذابة ، ونشرها بين أوساط المتعلمين ، إذ صنف من ابرع كتاب عصره بلاغة وبيانا ، ونظرا للقدرة الخاصة التي كان يتميز بها هذا الخطيب في تجميع واستيعاب أفكار الآخرين وتقديمها في شكل رائع وواضح ، لذلك فإن كتاباته موجودة في عدد كبير من المخطوطات، التي يرجع بعضها إلى تاريخ مبكر جدا ، وفي القرن الخامس عشر طبعت أعماله الباقية أربع عشر طبعة كاملة ، وفي هذا الصدد ألف عدّة مؤلفات تراوحت بين الدينية والعلمية ، نذكر أبرزها :

3 .1.2. الكتب الدينية : من أهم ما ألفه لكتانتيوس في ما يتعلق بالدفاع عن المسيحية والوضع المزري الذي وصلت إليه الكنيسة الإفريقية جرّاء قساوة المراسيم الدينية الاضطهادية مايلي :

-مؤلف عن صنعة الله (On the Workamanship of God) :

يعتبر هذا المؤلف من أقدم أعمال لاكتانتيوس ، ألفه سنة 303م-304م ، أرسله إلى تلميذه المسيحي ديمتريانوس (Demetrius)، أكد في هذا العمل على أن الجسد البشري بنظامه الرائع لا يمكن أن يكون إلا من عند الكلي الكمال ،وانه موضع اهتمام خاص من قبل عناية الله[50] ، يتكون من عشرين فصلا ، مقسمين على شكل فقرات ، حيث تحدث في :

-الفصل الأول : مقدمة ومواعظ لتلميذه ديمتريانوس (Demetrius) .

-الفصل الثاني : تطرق فيه إلى ما ينتج عن الإنسان والحيوانات المتوحشة (الضارية) في الكون .

-الفصل الثالث : ما يتوجب من شروط لعيش الإنسان والوحوش المتوحشة .

-الفصل الرابع : عن ضعف الإنسان .

-الفصل الخامس : عن مجتمع الحيوانات .

-الفصل السادس : عن خطأ ابيقور .

-الفصل السابع : عن جميع أجزاء الجسم .

-الفصل الثامن : من أجزاء الإنسان: العيون والأذنين

-الفصل التاسع : من الحواس وقوتها.

-الفصل العاشر : من الأطراف الخارجية للإنسان ، واستخدامها.

-الفصل الحادي عشر : من الأمعاء في الإنسان ، واستخدامها.

-الفصل الثاني عشر : من الرحم والحمل .

-الفصل الثالث عشر : من الأعضاء الأدنى.

-الفصل الرابع عشر : من غرض غير معروف لبعض الأمعاء.

-الفصل الخامس عشر : من الصوت .

-الفصل السادس عشر : من العقل ومركزه.

-الفصل السابع عشر : من الروح ، ورأي الفلاسفة بشأنها .

-الفصل الثامن عشر : من الروح والعقل ، وعواطفهم .

-الفصل التاسع عشر : من الروح المقدمة من الله .

-الفصل العشرين : عن النفس والحقيقة[51] .

-**مؤلف "عن عمل الله** " لكن في بعض الترجمات نجده يحمل عنوان : " **الإله الخالق** " **De Opificio Dei**" :

ألف هذا الكتاب في حدود 304/303م خلال اضطهادات الإمبراطور دقلديانوس ، وهو مرسل لأحد تلاميذه ديمتريانوس ، وموجه للقراء الوثنيين ، أكّد في هذا العمل على أن الجسد البشري بنظامه الرائع لا يمكن أن يكون إلا من صنع كلي الكمال ، وأنه موضع اهتمام خاص من قبل عناية الله[52].

-**مؤلف "الأنظمة أو القوانين الإلهية "**، لكن في بعض الترجمات نجده يحمل عنوان : **المؤسسات الدينية أو النظم الإلهية " Divinae institutiones"** :

يعتبر أول محاولة لاتينية لتقديم ملخص عن الفكر المسيحي ، تمّ تأليفه في بداية القرن الرابع ميلادي ، أي في حدود 311م ، بأسلوب لغوي بليغ ، لاقى صدى طيبا في نفوس قرائه ، يتكون من سبع أجزاء ينتقد من خلاله تعدد الآلهة ، وزيّف الديانة الوثنية وأفكارها ، أين يشرح للوثنيين كيف أن العقل والحكمة تقتضي إتباع العبادة الصحيحة باعتناق المذهب المسيحي ، فضلا عن تقديم الإهداء للإمبراطور قسطنطين الذي تسامح مع الديانة المسيحية وأرفق بمعتنقيها [53] .

يصنف لاكتانتيوس ضمن أهم المرافعين المسيحيين الذين تبنوا فكرة المقاومة الثقافية خلال القرنين الثالث والرابع ميلادي ، حيث استطاع أن يقدم مرافعة دينية استدعتها ظروف الاضطهاد من قبل السلطة الرسمية الوثنية الحاكمة ضد المسيحيين في مؤلف النظم الإلهية ، كما يعتبر أول عرض منظم باللغة اللاتينية حول العقيدة المسيحية كعقيدة نجاة ، عمل جاهدا لإقناع الوثنيين بحججهم نفسها ، وعلى هذا الأساس قسّمه إلى سبعة أجزاء :

الكتاب الأول : بعنوان **العبادة الزائفة للآلهة** " **De falsa religione**" أو" **العبادة الكاذبة للآلهة** "، يهدف من تأليفه إلى محاربة الديانة الوثنية وأفكارها المزيفة ، وكل ما له علاقة بأمور الشرك وعبادة الآلهة المتعددة ، وتقديم في نفس الوقت العقيدة الصحيحة للمؤمنين .

الكتاب الثاني : يحمل عنوان **مصدر الخطأ (D' origine erroris)** : يفسر أن الاعتقاد بالآلهة الوثنية أوجدتها شياطين الشر من الروحين ، ويستنكر فيه تعدد الآلهة كمصدر كل الأخطاء والخرافات ، وعلى أن هؤلاء الذين يعبدهم اليونانيون والرومان ، هم أشخاصا بسطاء عاديين ثم الهوا وقدسوا .

الكتاب الثالث : يحمل عنوان : **زيف حكمة الفلاسفة (De falsa Sapienta) أو حكمة الفلاسفة الكاذبة** ، كتبه ضد الفلاسفة المناقضين بعضهم ، واعتبارهم ثاني مصدر للخطأ بعد تعدد الآلهة ، ويشرح أن هناك تناقضات في الآراء الفلسفية المتنوعة بخصوص أسئلة جوهرية عن الحياة البشرية ، وأن المعرفة الصحيحة تعطى فقط بالاستعلام.

الكتاب الرابع : يحمل عنوان **الحكمة الحقيقية والديانة (De Vera Sapienta et religione)** : يشرح فيه أن الحكمة والديانة لا ينفصلان ، وأن المسيح جاء إلى البشرية ليعلمهم الديانة الحقيقية ، ومنح البصيرة الحقيقية عن الألوهية .

الكتاب الخامس : يحمل عنوان **العدالة (De Justitia)**يتطرق في هذا الجزء إلى صفة العدل ، لأن الوثنية ألغت العدل والمساواة بين المسيحيين المضطهدين ، فغيبت الرحمة والرأفة في نفوس الوثنيين القامعين وحلت محله القسوة و التعذيب .

الكتاب السادس : تحت عنوان **العبادة الحقيقية (De Vero Culto)** ، يتناول فيه ديانة وأخلاق المسيحية وواجباتها لله والرحمة تجاه الناس ، ولابد من أن هذا الجزء قد كتب قبل صدور منشور جاليروس سنة 311م[54]

الكتاب السابع : يحمل عنوان **عن الحياة السعيدة (De Vita Beata)** ، تطرق إلى المؤمنين الذين عملوا على إرضاء الرب بأعمالهم الصالحة واتّبعوا العبادة الصحيحة ، و يتطرق لاكتانتيوس في الفصول من 14-26 إلى قضية الأخرويات ، حيث يرى أنه يتبقى ألف عام من الآلاف الستة ، وبعدها يأتي الابن ليدين الأحياء والأموات ، وكان يؤمن بالملك الألفي ، أي حكم المسيح على الأرض لمدة ألف سنة ، والتي يقيد الشيطان خلالها ، ثم بعد اكتمالها تحدث القيامة العامة ، حيث يدان الأشرار وينالون عقابهم[55] .

نتيجة الظروف السياسية والدينية التي كانت تعيشها الكنيسة الإفريقية خلال القرن الرابع ميلادي ، واصل لاكتانتيوس كتابة ملخص النظم في مابين 315م و320م تماشيا مع الأحداث التي كانت تعيشها الإمبراطورية الرومانية ، يزّيل ويعدّل قضايا يراها مهمة حسب رأيه،فلا يمكن فهم النظم الإلهية إلا بعد إلقاء نظرة على الأعمال بأكملها ، فالكتب السبعة التي دونها كلها مفعمة بالحيوية والتفصيل ، حيث يبذل خلالها المجادل جهدا بارزا لفهم وشرح موقف الخصم ، والبحث عن التوافق بين اللاهوتيات التي تواجه بعضها البعض[56].

من جهة أخرى حاول لاكتانتيوس من وراء هذا التأليف الأدبي إلى توضيح تشويه الديانة الوثنية وأفكارها التي تدعو إلى التسلط و القسوة ، على نقيض أفكار الديانة المسيحية التي تدعو إلى الألفة والتراحم وهي حسبه العبادة الصحيحة التي لابد من إتباع قواعدها والتشبع بأفكارها الدينية ، وفي نفس الوقت الرّد على جميع

خصوم المسيحية المتورطين في اضطهاد الآلاف من المؤمنين ، وعلى السبيل المثال لا للحصر حاكم بيثينيا "هيروكليس" الذي كان الدافع الأساسي وراء اضطهاد دقلديانوس للمسحيين سنة 303م ضمن ما يعرف تاريخيا بعصر الشهداء.

-**مؤلف " الأموات المضطهدين" أو"موت المضطهدين" " De mortibus persecutorum"** : اختلفت المصادر حول تحديد سنة تأليفه ، فهناك من يرجعه إلى سنة 314/ 316م ، في حين البعض يرجعوه إلى سنة 321م ، قسّم هذا الكتاب إلى جزئين ، أين خصص الجزء الأول إلى الجوانب التاريخية خاصة فيما يتعلق بمرحلة اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس ، وهو بذلك يعد مصدرا تاريخيا مهما حول أحداث القرنين الثالث والرابع ميلادي ، بينما الجزء الثاني فخصّصه للدفاع عن عقيدته الدينية ، وكأنه عبارة عن رسالة هجاء تطرق فيها إلى انتقام الربّ من الوثنيين والسلطة الرومانية التي اضطهدت المسيحيين الصامدين في وجه المراسيم القمعية ، حيث تناول الكيفية التي مات بها الأباطرة الرومان الذين مارسوا سياسة الاظطهاد ضد المسيحيين منذ عهد نيرون [57].

-**مؤلف " الملخص"** أو " **المختصر في القوانين الإلهية** أو **الموجز** "Epitome divinarum institutionum " : أكمل كتابة هذا المؤلف في حدود سنة 320م ، وهو عبارة عن ملحق خاص بكتاب النظم الإلهية (القوانين الإلهية) ، وقد أعدّه لاكتانتيوس لأحد الإخوة الذي يدعى " الأخ بنتاديوس" (Pentadius) ، ويتضح أنه ليس جزء من العمل الأصلي بل نسخة مختصرة منه ، وفيه إضافات وحذف وتغييرات ، ولم يكتشف النص الكامل للملخص إلا بداية القرن 18م في مخطوطة تعود للقرن السابع ميلادي [58].

- مؤلف " **غضب الرب" De ira dei"**: ألف سنة 313م/ 314م : وهو عبارة عن رسالة موجهة الى دوناتوس (Dunatus) في سنة 313م ، وكأنها بمثابة رسالة غضب من الله في الرّد على الأفكار الابيقورية التي تقول بعزلة الله ، حيث تتطلب سعادته أن يكون في عزلة عن العالم ، دون غضب أو شفقة لأن مثل هذه العواطف لا تتناغم مع طبيعته ، ويؤكد لاكتانتيوس على أن تلك النظرية تتضمن إنكارا للعناية الإلهية ، بل وحتى وجود الله ، لأنه إذا كان الله موجودا فلا يمكنه أن يكون بلا عمل ، فأن تعيش معناه أن تعمل [59].

-مؤلف "**الاختلاف والأصول** " ، "**المسيحية والتاريخ**" ، و"على الخلق" " Sur la Création".

-كتيب المسيحي الجامعي ، أول رجل أدب مسيحي و الزندقة والحكمة[61] .

2.2. 3 الكتب الأدبية : من أهم ما ألفه في هذا الجانب مايلي :

-مؤلف علم الصرف والنحو "Grammaticus ":

برع في مجال التأليف النحوي إلا أنه لم يمنعه من ترك بصمته أيضا في مجال الشعر من خلال تأليفه للمقالات الشعرية مثل :" عن رحلته من افريقية إلى بثينيا " ، فضلا عن بعض المقالات في الجغرافيا[62].

-مؤلف طائر العنقاء (De Ave phonice) :

ألف سنة 303م/ 304م ، وهي عبارة عن قصيدة شعرية رثائية من أسطورة وثنية، تتكون من خمسة وثمانين بيتا مزدوجا من الشعر ، تحكي قصة العنقاء الشهيرة التي كان هيرودوت أول من رواها ، وكان كليمندس الروماني أول كاتب مسيحي يتخذها رمزا للقيامة ، وكذلك نجدها في كتاب "ترتليانوس" " De Resurectione Carnis"[63].

كتب لاكتانتيوس قصيدته مستغلا معرفته بالأسطورة القديمة ، وأضاف إليها كثيرا من الأفكار المسيحية ، فالرموز كلها تشير إلى " المسيح" الذي يأتي من بلد المشرق إلى بلدة يسودها الموت ، ويموت هناك ، غير انه بعد قيامته يعود إلى موطنه ، والعبارة التي ذكرها "لقد استودعت نفسها" ، تذكرنا بما قاله السيد المسيح " في يديك استودع روحي "، وهكذا يرمز هذا الطائر إلى الملخص الممجد المقام ، وفكرة الموت كولادة ثانية ، وبداية حياة جديدة معروفة تماما في المسيحية الأولى [64].

3.3الأهمية التاريخية لكتابات لكتانتيوس :

تطرق لكتانتيوس في معظم مؤلفاته إلى إبراز أسس المسيحية و مبادئها الحقيقية التي تدعو إلى التسامح والتآزر الإنساني ، وفي نفس الوقت انتقاده للوثنية والوثنيين الذين اضطهدوا المسيحيين وحاربوا انتشار المسيحية ، ونظرا لمهارته الخطابية والبلاغية أن أطلق عليه علماء الفلسفة الإنسانية لقب "شيشرون المسيحي" ، أو لقب "المسيحي الجامعي " و " أول رجل أدب مسيحي " [65]في حين وصفه جيروم بأنه أكثر المتعلمين في عصره بسبب أنه أول خطيب إفريقي حاول وضع تفسير منهجي للتعليم المسيحي الذي يستهدف الأوساط الثقافية في العالم الروماني ، وأن يبرهن في كتاباته على مدة تعدد ثقافته وشمول معرفته [66].

استطاع هذا الأخير أن يترك بصمته التاريخية بين أهم المرافعين المسيحيين الذين حملوا شعار المقاومة الدينية ضد السلطة الرومانية ، كان بليغا في أسلوبه أكثر منه فيلسوفا أو مفكرا لاهوتيا ، ويظهر هذا الأمر من خلال العبارات الدينية المستخدمة في كتاباته ، والتي تميزت بالوضوح ، فخامة الأسلوب ، ذات تأثير على نفسية القارئ ، حيث يعرض في مجمل أعماله أن التقدم نحو الحقيقة يتم عبر مجموعة من المراحل : إنكار الشرك ، الانضمام إلى الوحدانية ، المجاهرة بالمسيحية ، محاولة إثبات بطلان الشرك ، ووحدانية الله وعدم كفاية الفلسفة وضرورة التوفيق بين العقل والإيمان[67].

من أهم تعاليمه اللاهوتية التي كان يدعو إليها هو ميله إلى الثنائية التي يبدو أنها استقاها من الفلسفة الرواقية ، حيث يرى أنه قبل خلق العالم أوجد الله روحا ، ابنه على مثاله ، وخلع عليه الكمال الإلهي ، ثم أوجد كائنا آخر صالحا ، إلا أنه لم يظل مخلصا لأصله الإلهي ، فقد حسد الابن ، وبإرادته الحرة الخاصة تحول من الخير إلى الشر ، وأصبح اسمه "الشرير" ، ومنذ ذلك الحين أصبح مصدر الخطأ وعداوة الله ، ووجدت العداوة بينهما طريقا إلى العالم ، في مخلوقاته ، لأنها تتكون من عنصرين متناقضين ، السموات هي مسكن الله ومكان النور ، بينما الأرض هي مسكن الإنسان في هذا العالم [68] ، كما تطرق إلى ماهية المسيحية محاولا أن يعطي لها تعريفا دقيقا ، على أنها نوع من الأخلاقيات العامة من غير أن يعطي اهتماما كافيا لفداء البشرية بواسطة

مخلص الهي ، كما ينكر وجود الشخصية الإلهية للروح القدس موحدا إياه في بعض الأحيان بالأب وأحيانا أخرى بالابن[69] .

من جهة أخرى يعتقد لكتانتيوس أن الله الذي خلق العالم هو نفسه الذي خلق الإنسان منذ البداية ، وهو الذي شكل الجسد والروح وجعل كلا منهما للأخر ، وبذلك أصبح الناتج بالكامل له ، وفي هذا الصدد يقول : لان الجسد قد ينتج من الجسد ، لان كلا منهما يسهم بشيء ، لكن النفس لا يمكن أن تنتج من نفسين لأنه لا شيء يمكن أن ينتج من شيء ضئيل غير مدرك ، ولذلك فان طريقة خلق النفوس ينفرد بها الله وحده تماما ..."[70].

بالرغم من أن همه الوحيد في هذه الكتابات هو الدفاع عن المسيحية ، وما احتوته من تعاليم إنسانية ، إلا أنّنا نلمس جانب تاريخي في كتاباته وأن يقدم لنا معلومات نادرة عن أحداث أزمة القرن الثالث و مجريات السنوات الأخيرة من القرن الرابع في المقاطعات الإفريقية ، خاصة في كتابه المعنون "موت المضطهدين" الذي ألفه حوالي سنة 321م ، إذ تحدث فيه عن بعض الجوانب السياسية التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية من خلال تبيان العلاقة بين رتب ومهام الحكم الرباعي و آليات هذا النظام الذي كان حلاّ سياسيا للأزمة ، حيث ذهب إلى تأكيد أن اغلب الأباطرة الذين مارسوا الاضطهاد عوقبوا من طرف اله المسيحية ، حيث كانت نهايتهم تعيسة وموتهم مشين ، خاصة فترة اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس [71].

صحيح لاكتانتيوس حاول تقديم منهج جديد في تاريخ الفكر المسيحي إلا أن بعض مؤلفاته افتقرت للأسانيد والحجج اللاهوتية والعمق الروحي الصوفي ، فمصادر تلك الأفكار من مجموعة استشهادات كتابية قليلة[72] ، معظمها مستل من كتابات كبريانوس المعنون ب (إلى كورينوس (Ad Quirinum)[73] ، وحتى عندما يتحدث عن مدافعي الإيمان المسيحي الأوائل مثل : مينوكيوس فليكس وترتوليانوس وكبريانوس ...الخ ، ولا يشير قط إلى الكتاب المسيحيين الإغريق ، حتى أنه لا يذكر أستاذه ارنوبيوس[74] .

خاتمة :

استطاعت إفريقيا المسيحية أن تنجب شخصيات دينية مجادلة في الفكر المسيحي ، ساهمت برصيدها العلمي والثقافي في إثراء الإنتاج الأدبي اللاتيني ، وأن تعطينا فكرة واضحة عن الأحداث التي كانت تعيشها الكنيسة الإفريقية خلال القرنين الثالث والرابع ميلادي ، إذ استطاعت مؤلفاتهم على الارتقاء الفكري بمستوى الإنسان الروحي والمعرفي وأن تضعه في الطريق الصحيح للعبادة الصحيحة محاولين تبيان زيّف الديانة الوثنية وفساد مفاهيمها .

في ظل الظروف الاضطهادية التي كانت تعيشها إفريقيا بسبب المراسيم القمعية التي سلّطتها السلطة الرسمية ضد معتنقي المسيحية ، إلا أن هذا الأمر لم يمنع من بروز مقاومين مثقفّين سخروا أقلامهم للدفاع عن الفكر المسيحي ،بل كانت في بعض الأحيان عاملا محفّزا لهم لمضاعفة نشاطهم كنوع من المواجهة الصامتة من جهة ، ومن جهة أخرى كان عليهم أن يوفروا للمسيحيين ما يحتاجونه من متطلبات مادية أو روحية سواء داخل السجون أو خارجها ، وما يثبت لنا أكثر على مدى دور المفكرين المسيحيين وفعاليتهم في هذه الفترة هي كثرة

كتاباتهم و مراسلاتهم المستمرة بين الأساتذة وتلاميذهم ، وأحسن شاهد على هذه الفترة الخطيبين ارنوبيوس ولاكتانتيوس الذين قدما إيمانا عقائديا متكاملا نلمحه في مؤلفاتهم ، متميّز بالصياغة المتوازنة والألفاظ ذات الصدى على نفسية القارئ .

المراجع

1شارن شافية وآخرون ، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ، الجزائر، 2012/2011، ص 233

2تقدم أمام المحكمة اثنا عشر مسيحي في عهد الإمبراطور كومودوس بعدما قام البروقنصل باستنطاقهم ، ثم وعد بإطلاق سراحهم في حال تخليهم عن ديانتهم لكنهم أجابوا (سوف نشرّف قيصر كقيصر لكن لا نخاف إلا الرب) ، بعد هذا نفذ فيهم الحكم بإعدامهم ، وأصبح التاريخ فيما بعد يذكرهم على أنهم أفارقة أصليين ....، للمزيد ينظر :

3 François Decret , le christianisme en Afrique du Nord, les origines , clio, 2009 ,p25.

4محمد البشير شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص ص247-275.

5فرنتون السرتي : اسمه الكامل ماركوس كورنيليوس فرونتون السيرتي ، ولد في مدينة سيرتا في بداية عهد تراجان مطلع القرن الثاني ميلادي ما بين 95-100م ،ينتمي إلى أسرة نبيلة ارستقراطية مترومنة ، أمضى شبابه في نوميديا، أين تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في أهم المدن الكبرى النوميدية مثل: سيرتا ، تيفست ، مداوروش ، ثم انتقل إلى قرطاجة لإتمام تعليمه العالي، ثم قصد بعدها روما ليتتلّمذ على يد أشهر الأساتذة هناك مثل : الفيلسوف الروماني الرواقي اثندروس ، والخطيب ديونسيوس الأصغر حيث أعطاه تعليما أكثر صلابة حتى أتقن أساليب الريطوريقا–أهم أشكال الأدب الذي ذاع صيته في المغرب القديم- ، ومن أشهر مؤلفاته : المراسلات (Epistolae) ، مقتطفات من الخطب حرب البارثنيين " La guerre des parthes"_مبادئ التاريخ " Principes de l'histoire" ، بالإضافة إلى مجموعة من الأعمال والمقالات الموجهة بالدرجة الأولى لماركوس اوريليوس مثل : "أسس التاريخ " ،" مدح الإهمال" Eloge de la Négligence"...، للمزيد ينظر : حسيبة قادري ، حياة فرونتون من خلال المراسلات ، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، مج 3، ع6، جامعة الجزائر 2، 2017، ص44 ; P.Monceaux , les Africains , étude sur la littérature latine d'Afrique , paris , 1894, p212

6ابوليوس المداوروشي: يعتبر من أشهر الروائيين الإفريقيين ، ابن مدينة مادور (مداوروش) ، ولد مابين 124-125م ،ولهذا قال عن نفسه أنه نصف نوميدي ونصف جيتولي ، من أسرة غنية ووالده من أعيان المدينة ، درس بمسقط رأسه وأكمل دراسته بقرطاج وسافر إلى أثينا ثم روما التي قضى بها سنتين ، ومن ثمة رجع إلى مداوروش ولكنه قرر بعدها للرحيل للإسكندرية غير انه توقف في طرابلس بسبب مرضه ، وطوال هذا المشوار تمكن من دراسة عدة علوم مثل الخطابة والشعر والموسيقى والهندسة ، الفلسفة ....الخ ، وفي هذا الشأن ألف العديد من المؤلفات ولعّل أبرزها : الازاهر " Les florides " ، المرافعة " Apologie" ،التحولات أو الحمار الذهبي " Metamorphose " ، وهي أول رواية كتبت باللغة اللاتينية تصلنا كاملة ، وتتكون من واحد وعشرين كتابا ....، للمزيد ينظر : محمد الحبيب بشاري ، الحياة الأدبية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها ، مجلة عصور ، مج12، ع1 ، وهران ، 2013، ص 37 Le Bohec (Y) ,histoire de l'Afrique romaine ; 146avant J.C439 après J.C , éd :Picard , Paris , 2005, pp 170-171 .

7ترتوليانوس : اسمه الكامل هو كوينتوس سبتيموس فلورنس ترتوليانوس ، وبحسب شهادة القديس جيروم انه ولد في حوالي 160م بقرطاجة ، أين قضى كل حياته ، من عائلة وثنية ، أبوه رئيس فصيلة في جيش الفرقة الاغسطية الثالثة في البروقنصلية ، عاش اغلب شبابه وثنيا ، أين تردد على ألعاب التسلية وحضر مسابقات المصارعة إلى غاية أن أعلن تنصره واعتنق المسيحية مابين 195/190م ، وبهدايته مارس سلطة كبيره على الكنيسة القرطاجية حيث ركز كل نشاطه ومواهبه في خدمة العقيدة أين سخر كل جهده لكتابة المواعظ الإرشادية والمؤلفات الدينية بهدف نبذ الوثنية والدفاع عن المسيحية ولعل ابرز ما كتبه نجد : "إلى الوثنيين" ،" الدفاع عن المسيحية " ...، للمزيد ينظر :

Monceau (P) , histoire littéraire de l'Afrique chrétienne , T I , II , culture et civilisation , paris , 1963, pp178,181.

8كبريانوس : اسمه الكامل كيكليوس كيبريانوس ثاسيوس ، بينما عرف عند القديس جيروم بلقب الإفريقي ، ويعتقد أنه ولد في حوالي 200 م / 210 م من أسرة أرستقراطية ثريّة تلقى تعليمه الكامل ، وهذا ما سمح له بأن يكون بليغا لامعا ، مارس مهنة المحاماة ، ويعتقد أنه اشتغل في إدارة البلدية ، ولهذا اكتسب شهرة حسنة في المدينة ، ارتبط تطور الكنيسة الإفريقية في القرن 3 م بهذه الشخصية المثقفة الذي امتدت أسقفيته من (245 – 258

م) ، حيث لعب هذا الأخير دورا هاما في تاريخها ، إذ أشارت إليه العديد من المصادر مثل : الخطيب لكتانسيوس ، الأسقف أوغسطين والقديس جيروم فضلا عن رسائله التي احتلت المرتبة الأولى من بين كتبه ، وبلغت حوالي 180 وثيقة ....، للمزيد ينظر:

François . Décret, le christianisme en Afrique du Nord, les origines , clio, 2009, p95 ; P. Monceaux , histoire littéraire de L'Afrique chrétienne , II, culture et civilisation , Paris , 1963 , p6.

9سيكا فينيريا : هي اليوم مدينة تدعى الكاف " تقع في تونس ، تقع على بعد حوالي 170 كيلومترا من قرطاج، تشتهر بمعبد فينوس و بموقع استراتيجي و على مفترق طرق العديد الرابط بين أهم المدن الكبرى ، أسفرت الحفريات الأثرية عن فسيفساء ومسرح ومدرج ومع ذلك ليس لدينا أي دليل على وجه اليقين ما إذا كان أرنوبيوس في الأصل من سيكا أو ما إذا كان قد جاء للاستقرار في المدينة لاحقا ...، للمزيد ينظر :

Sébastien Filion , Histoire de Rome et providence divine selon Arnobe de Sicca , mémoire présenté a la faculté des supérieures ,Université de Montréal , Avril 2011 , p10.

10تذكر الباحثة مقدم بنت النبي نقلا عن الباحث الأثري روني "L. Renier" في كتابه " النقائش الرومانية في الجزائر" يعتقد أنه أصيل مدينة تبسة بسبب تلك النقيشة المنقوشة على قاعدة حجرية تشبه المذبح والتي عثر عليها غرب المدينة على بعد كيلومترين ، ولا يستبعد أنه الوحيد ببلاد المغرب القديم كله الذي حمل هذا الاسم ، بالإضافة إلى تاريخ ميلاده ، فقد اختلف في تحديده ما بين 250م أو 260م ...، للمزيد ينظر: مقدم بنت النبي ، الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة ، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية ،ع8، جامعة وهران 2، جانفي 2018، ص 336 .

11جميل حمداوي ، الشخصيات الثقافية الامازيغية القديمة ، دار دنيا الوطن ، 2007 ، ص 8.

12روبين دانيال ، التراث المسيحي في شمال إفريقيا "دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى "، تر: سمير مالك وآخرون ، دار منهل الحياة ، لبنان ، 1999، ص 220.

13نفسه ، ص ص 221-222.

14 J.L .Charlet , Arnobe (Arnobius) , Ency .Ber , Antilopes –Arzuge , Peerers Publishers , 1Janvier1989, p1.

15 Jérôme de Stridon , de viris illustribus , les hommes illustre , Trad par : Jacques .P.M , 2010,79 , p 8.

16 Sébastien Filion , op.cit , p4.

17 Ibid , p5.

18 Jérôme de Stridon , op.cit , 89.

19 H.Le bonniec , Tradution de la culture classique Arnob , Timone 7juge des cultes païens bulletin de l'association Guillaume Budé année , 1974,II, p202.

20 Arnobe , Adversus nations , I , 16, trad :H, le Bonniec , Les belles Lettres , paris , 1982, VII, 50 .

21 Arnobe , I, 5.

22روبين دانيال ، المرجع السابق ، ص 219.

23مرسوم الإمبراطور دقلديانوس سنة 303م : لما اعتلى الإمبراطور السلطة حال أن يضع حدا لهذا الوفاق ، وفرض عبادة الإمبراطور ليس على الضباط فقط بل على ضباط الصف والجنود،خاصة بعد إقدام بعض المجندين والضباط على رفض القيام بالخدمة العسكرية في ظل رأي دقلديانوس أن الانحراف عن الوثنية معناه في نظر المسؤولين التباهي بعدم الإخلاص و عدم الموالاة للدولة ، ولهذا وضع مرسوم سنة 303م الذي تضمن إجراءات رهيبة في حق المسيحيين وممتلكاتهم وتمثلت في منع الاجتماعات وتجمعاتهم ، و هدم الكنائس ،ومصادرة وثائق النصارى، وإحراق الكتب المقدسة الخاصة بالعبادة واعتبارهم خارجين عن القانون وحجز على ممتلكاتهم وإيداعهم السجون وتعريضهم للجلد مثلما حدث في نوميديا وبالتحديد في سيرتا بمصادرة أملاك القس الكنيسة ، وكذا أملاك المجلس بما في ذلك الملابس ، الأحذية ...إلخ حتى سعي عصره بعصر الشهداء ...، للمزيد ينظر:

Arnest Mercier, histoire de l'Afrique Septentrionale (Berbère) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête français ,éd : Ernest Leroux , paris , 1988, p 12.

24 J.L .Charlet , op.cit ,p2.

25 Sébastien Filion , op.cit , p8.

26 روبين دانيال ، المرجع السابق ، ص220.

27 محمد شفيق ،ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الامازيغيين ،ط1، دار الكلام ، الرباط ،1989، ص 85 .

28 القمص تادرس يعقوب ملطي ، المرجع السابق ، ص ص 245-246.

29 Arnobe , II, 73.

30 J.L .Charlet , op.cit ,p p1 -2.

31 Sébastien Filion , op.cit , p5.

32 Tertullien , Apologétique , établi et trad : Waltzing (J-P) , avec la collaboration de Severyns (A) , les belles lettres , paris , 1929 , 40,2.

33 Arnobe ,II, 73 ; I, 5.

34القمص تادرس يعقوب ملطي ، المرجع السابق ، ص .254

35 J.L .Charlet , op.cit ,p1.

36 J.L .Charlet , op.cit ,p p1-2.

36 مقدم بنت النبي ، المرجع السابق ، ص337.

37 J.L .Charlet , op.cit ,p1.

38 القمص تادرس يعقوب ملطي ،المرجع السابق ، ص246.

39 جميل حمداوي ، المرجع السابق ، ص 9.

40لاكتانس أو لاكتانسيوس (Lactantius) : معناه مثل الحليب ، وأطلقت عليه نظرا لخفته وطلاقته الخطابية .

41 محفوظ قداش ، الجزائر في العصور القديمة ، تر: صالح عباد ، المؤسسة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1993، ص 210.

42 Sébastien Filion , op.cit , p8.

43القمص تادرس يعقوب ملطي ، نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى ، ط1، كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس باسبورتنج ، الإسكندرية ، 2008، ص 225.

44فهمي جورج أنطوان ،العلامة لاكتانتيوس الفيلسوف المسيحي ، مصر ، سلسلة أباء الكنيسة ، 1992، ص .7

45 Jérôme de Stridon, 2010 , I , pp79-81.

46 تميز لاكتانتيوس بشدة تحمسه للاستشهاد ، وبمحبته لله والناس ، تحلى بفضائل التواضع والعفة ، تكلم كثيرا عن العمل الذي يحدثه الإيمان المسيحي بدون أن يذكر بوضوح فداء الجنس البشري الذي قام به المخلص السماوي ، وانتقد في نفس الوقت الوثنية أكثر من تقديمه للمسيحية ....، للمزيد ينظر: عادل فرج عبد المسيح ، المرجع السابق ، ص 230.

47 مريم عبد السلامين ، مساهمة المفكرين الأفارقة القدماء في الثقافة اللاتينية –لوكيوس كايكليوس فيرميانوس لاكتانتيوس انموذجا ، المجلة التاريخية الجزائرية ، مج4 ، ع2، مخبر الدراسات والبحث في الثورة التحريرية ، جامعة المسيلة ، 2020، ص 39.

48أول أعمال لكتانسيوس قبل مغادرته إفريقيا ويعلن تنصره ، لما كان في ريعان شبابه ، كتاب **الوليمة أو المأدبة "Symposium "** ، لكنه فقد وضاع ،بالإضافة إلى كتاب " يوميات رحلة " أو "دليل الرحلة " ، كما يشير جيروم إلى كتاب آخر في قواعد النحو ....، للمزيد ينظر:
Jérôme de Stridon , 2010, I , p80.

49 محفوظ قداش ، المرجع السابق ، ص .210

50 العمري عبد النور ، مقاربة تاريخية للمؤلفان لاكتانتيوس واغسطينوس من خلال كتابيهما النظم الإلهية ومدينة الله ، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 6، ع 1، مخبر الدراسات والبحث في الثورة التحريرية ، جامعة المسيلة ، 2022، ص 96.

51 انطوان فهمي جورج ، العلامة لاكتانتيوس الفيلسوف المسيحي ، اليوبيل الماسي للكلية الاكليريكية ، 1992 ، ص 9.

52 William Fletcher , D.D , the works of Lactantius , Vol II , Murray and Gibb, for : T.Clark ,Edinburgh , london , pp 42 , 91.

53 انطوان فهمي جورج، المرجع السابق ، ص 9.

54مقدم بنت النبي ، المرجع السابق ، ص.340

55منشور جاليروس سنة 311م: ظهرت بوادر التسامح الديني مع المسيحيين في عهد جاليريوس بعد أن مرض بمرض العضال ، وأرجع سببه إلى انتقام اله المسيحيين منه ، لهذا أصدر مرسوما يمنع فيه اضطهاد المسيحيين وعنائهم ، غير أن هذا المرسوم لم ينفذ بصورة فعلية إلا بعد اعتلاء قسطنطين العرش ، حيث اجتمع مع شريكه في الحكم ليكنيوس في مدينة ميلان في مارس313 م ، وقد حضره جميع ممثلي الأسقفيات بالغرب الروماني ، وأصدر وثيقة سميت خطأ باسم مرسوم ميلان ....، للمزيد ينظر : حسين محمد ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة، 1983، ص ص 23-24.

56 مريم عبد السلامين ، المرجع السابق ، ص ص 43-44.

57العمري عبد النور ، المرجع السابق ، ص ص 96-97.

58 مقدم بنت النبي ، المرجع السابق ، ص340.

59انطوان فهمي جورج ، المرجع السابق ، ص 16.

60 مريم عبد السلامين ، المرجع السابق ، ص.40

61 André Mandouze , de la christianisation de Rome a l'âge d'or des pères de l'église, published : Piccard , paris , 1977, pp 238-245.

62محفوظ قداش ، المرجع السابق ، ص 210

63مريم عبد السلامين ، المرجع السابق ، ص.41

64عادل فرج عبد المسيح ، المرجع السابق ، ص .228

65محمد الحبيب بشاري ، المرجع السابق ، ص .44

66مريم عبد السلامين ، المرجع السابق ، ص .39

67محفوظ قداش ، المرجع السابق ، ص .210

68 عادل فرج عبد المسيح، المرجع السابق ، ص .230

69القمص تادرس يعقوب ملطي ، المرجع السابق ، ص .248

70 مريم عبد السلامين ، المرجع السابق ، ص

71Christol (M) , op.cit , p 205.

72إلى كورينوس (Ad Quirinum) : تعد من أهم الأعمال الدفاعية المقدمة من طرف القديس كبريانوس إلى كيرينوس ، و على قدر عظيم من الأهمية فيما يتعلق بتاريخ أقدم الترجمات اللاتينية للكتاب المقدس ، ويوجه رسالته إلى كيرينوس الذي يدعوه ابنه الحبيب ، والرسالة في الأصل تأتي في كتابين فقط ثم أضاف إليهم كتابا ثالثا في وقت لاحق...، للمزيد ينظر : عادل فرج عبد المسيح ، المرجع السابق ، ص209.

73 العمري عبد النور ، المرجع السابق ، ص99.